تنسيق العمران كمدخل للإرتقاء مقابل تجميل العمران

البيئة العمرانية هى الوسيط الذى يضم الانسان وحاجاته، ويمارس فيه نشاطاته، ويعكس أمآله وطموحاته أو ألآمه وإحباطاته، على مستوى الفرد والجماعة٠

وهى وسيط حيوى فى حالة دائمةٍ ومستمرةٍ من التحولات، يصيبهُ ما يصيب الأنسان والجماعة من فتوة وهرم أو ازدهار وانحدار٠

أن عملية التنسيق العمرانى تصبح فى الوقت ذاته عملية إرتقاء بالبيئة العمرانية إذا روعيا فيها كلاً من البعدين المكانى ecological context (والمعّنى هنا هو التعبير عن حالة الجماعة، اقتصادياً واجتماعياً وبيئياً من خلال العناصر البنائية والفراغية) و الزمنى transformation of built environment (والمقصود هنا هوالتحولات الحادثة فى البيئة العمرانية، وذلك من خلال منظومة القدرات السياسية والإجتماعية والإدارية والتنظيمية والتقنية الموجه والحاكمة لحركة العمران، وتوزيعها على المستوى العام أو الخاص، الرسمى أو اللارسمى)٠ ودون هذا فأن عملية التنسيق العمرانى تتحول الى عملية مكياج معمارى لإخفاء ما هو في ظاهره ناقص ومعيوب أو غير مرغوب فيه وتصبح الجدران عبارة عن كواليس معمارية تخاطب المشاهد العابر دون أية علاقة رابطة ومعبرة عما يدور خلفها من حياة٠

أن الحيوية أوالتدعى فى بيئة العمران هو إما انعكاس للتناغم والتوازن او التناحر والتنافر فيمابين القوى الفاعلة فيها، سواء كانت اجتماعية أو اقتصادية أو سياسية ٠٠٠٠الخ٠ ولذلك فإن التحولات والتغيرات التى توصم بأنها غير منضبطة لعناصر البيئة المبنية هى فى الأصل، أما صوراً لأحتياج بالغ وضاغط أواحتجاجٍ صامت٠

ونخلص من هذا ان ضبط حركة العمران والأرتقاء بالبيئة العمرانية هو عملية توازن لمصالح القوى الممثلة والفاعلة فيها وأيضاً ضبط العلاقة بين العام والخاص، أى مايدور امام وخلف الجدران وان يكون الجدار ليس فقط وسيلة انفصال وحجب ولكن ايضاً وسيلة تواصل بين الفرد والمجتمع٠

إن توحد المصالح unified form للقوى الممّثلة أى المستخدمين users والملاك أو المتملكين owners والسلطة controller هو الحالة المثلى لضبط وتحفيز حركة العمران وإن اختلاف المصالح والأهداف dispersed form هو اكبر عائق للأرتقاء٠ كما أن الفصل الحاد بين ماهو عام وخاص يؤدى بالتالى لفقد الأحساس بلمسئولية المشتركة تجاه البيئة المبنية٠ لذلك فأن مبداء المشاركة participation والشراكة partner ship و البرامج القائمة عليهم، من أهم الأدوات لأستعادة مسئولية الفرد تجاه الجماعة وتضمن عدم التضاد فى الأولويات بين القوى الموجهة لحركة العمران٠

أن دور مركز التنسيق الحضارى (العمرانى) فى هذه الحالة كما نرى، أن يكون الوسيط والمحفز لضبط العلاقة بين الأطراف الفاعلة، والوصول الى صيغة توازن وشراكة فيما بينها و يمكن ان يتم ذلك عن طريق انشاء مراكز محلية خاصة بكل مشروع يمثّل فيها كل اصحاب المصالح وتكون بمثابة المطبخ الذى تعد فيه برامج الأرتقاء والتنسيق العمرانى طبقاً للظروف والمحددات الخاصة بكل مشروع وتأهيل هذه المراكز ودعمها وتدريب القائمين عليها حتى تكون قادرة على اداء مهامها بشكلاً مستمدام sustainable ٠

كما إن عملية الارتقاء والتنسيق الحضرى يجب ان تصاحبها عملية إحياء لمنظومة العمل والانتاج المجتمعى لتوفير العناصر والمفرادات التى تناسب الطابع والتقاليد وتعبر فى الوقت ذاتهِ عن روح العصر وإمكانات الجماعة (مادياً وفكرياً و تقنياً) إلى جانب التفعيل الايجابى للعلاقة بين الأنسان وبيئته أقتصادياً واجتماعياً وسياسياً٠

أن تبنى اسلوب التخطيط بالفعل action plan والذى يعتمد على مشاركة المجتمع community participation ، بحيث تصمم برامجه طبقاً لخصوصية كل مشروع والامكانات والموارد المتاحة مع تحديد دقيق لمراحل التنفيذ وتحديد مسئوليات المشاركين فيها٠

إن الأسس والمعايير المرجعية والاشتراطات الفنية التى تنظم العمران بغية الوصول الى انساق معمارية متزنة ومتوازنة، تحفظ التقاليد و الطابع العام وتسمح

فى الوقت ذاته بلابداع وفقاً لمقتضايات العصر، يجب أن تكون الركيزة الأساسية لقوانين البناء والتخطيط العمرانى ويجب أن تصنّف وتحدّد اساليب المعالجة على النحو التالى:

أولا ـ تنظيم ماهو قائم ـ بمعنى الحفاظ على التراث العمرانى وكذلك وتوجيه وتقويم البيئة المبنية بما يسمح بتطورها وأداء وظيفتها دون الاخلال بالطابع العام أو مصالح الممثلين فيها٠

ثانياً ـ تنظيم ماهو مستجد ـ بمعنى ما يخص المناطق الجديدة أو امتدادات المناطق القائمة بما يضمن أنسجامها مع ما هو قائم٠

وهذه الأسس و الاشتراطات:

منها ماهو عام ـ لإدارة العمران بما يضمن بشكل دينامكى ضبط الكثافات والمرافق العامة وأستعمالات الأراض وكتل العناصرالمعمارية والأرتفاعات والألوان وغيرها ممايؤثر على الطابع العام٠

ومنها ماهو خاص ـ أى يحفظ خصوصية كل منطقة سواء كانت قديمة أو حديثة مركزية او على الأطراف ويميزها عن غيرها وذات صبغة معينة لإنشطة إقتصادية أوتركيبة اجتماعية أو ذات قيمة عمرانية وغنية بمفراداتها المعمارية ويجب الحفاظ عليها أو تطوريها٠

أن مجال هذه المداخلة أو الورقة ليس وضع تصورات لحلول أوتقرير أسس وأشتراطات بعينها وإنما هى فقط أشارة للأتجاه وأطار لبعض خطوط العمل٠

والله الموفق٠

د٠ م٠ عبدالرحمن عبدالنعيم

باحث معمارى وعمرانى بمركز بحوث البناء